قصة قصيرة

السيّد والعبدة

ثريّا الحلو ❖

يُحكى في الزمن الماضي أنّ رجلاً تعلّق قلبُه بجسد جارته. كان كلَّ مساء، حين تأوي النساءُ إلى مخادعهنّ، يظلّ جالسًا علّه يلمح من خلف الأبواب والنوافذ طرفًا لها. ما عاد يرغب من نساء الأرض غيرَها. هجر حبيباتِه كلّهنّ.

وكان يؤمن بقوى الطبيعة، وبأنه كلّما فكّر فيها وصلتْها أفكارُه. لذا كان يجلس كلّ يوم يستجمع خيالَه، كي يبعث رسائلَه إلى التي خلبتْ عقلَه ورغباتِه. يجلس يتأمّل النجوم، ويركّز بصرَه عند نقطة، مناديًا محبوبتَه في سرّه. وفي كلّ ليلة، يلمع النجمُ، وتظهر مجرّةٌ كاملةٌ كأنها تتفتّت شظايا وتنتشر في الفضاء المعتم لتنيره ببساطٍ من البريق. وحين يطلع الصباحُ ويلمحها سائرةً بين جماعتها، يدرك أنّ شيئًا لم يصلها بعدُ.

ظلّ يستنجد بالطبيعة، وهو يتوسّل وجودَ محبوبته بين يديه، عاصرًا نهديْها، مُولجا ذكَرَه بين فخذيْها، مقبّلاً سرّةَ بطنها، لاعقًا حلاوةَ لسانها.

ثم صار يهذي، وقلّت شهيّتُه إلى الطعام. فاقترح عليه أحدُ أصحابه أن يطلب يدَها. رفض ذلك لأنه شعر أنه لن ينالها حتى تُسْلِمَ إليه جسدَها طواعيةً، حين تأتي إليه من غير أن يطلبها: فهو لا يريد جسدًا من دون أنفاسه، ولا فرْجًا من دون مائه.

ظلّ ينتظر حتى جاءت تلك الساحرةُ الفارعةُ الطول بعينين واسعتين، ونهديْن نافريْن. جاءت، بطوعها، تكلّمه:

ـ يا سيدي[1]، مَراسيلُكَ تصلني في الماء والهواء والمخدع. وحين أتعرّى وتستبدّ الشهوةُ بي، أشعرُ بك أمامي وخلفي، ملتصقًا بي ومن حولي، تحضن جسدي. فكيف لي أن أغمض جفنًا هذه الليلة من دونك؟

بهت وتلعثم، وفكّر في أن ينادي خادمَه ليوبّخه على السماح لها بالدخول. لكنه لجم نفسَه، وأدرك أنها ليلةُ قدره. ظلّ جالسًا ينظر إليها. اقتربتْ منه وقبّلتْ جبينَه. ثم جلستْ بين رجليه. أوْلته ظهرها. شعرُها الأجعد يغطّي كتفيها ونصفَ ظهرها، فتبدو له جنّيّةً خرجتْ له من سابع أرض. أراحت رأسها بين ركبتيه، فأنصت إلى حفيفِ خدّيْها. استسلم للدفء الذي يسري في ساقيه.

ـ يا سيّدي، في البداية لم تكن تصلني رسائلُكَ واضحة. كانت تأتيني مجتزأةً ناقصة.

ـ السيّد ما كان ليعرف لغةَ عبدته الجميلة.

ـ هذا الجمال يتجلّى لكَ وحدك.

ـ السيّد يرتعش أمام أسرارِكِ أيتها العبدة. ماذا لديكِ؟

ـ لدى العبدة كلُّ ما تشتهي من صنوف الحبّ.

ـ السيّد يريد أن يلعب بشعرك.

ـ له ما يشاءُ مني؛ فهو المالكُ روحي وجسدي.

ترخي ذراعيْها فوق فخذيه، فيشعر بنهديها ثقيلين يلتصقان بعظامِ ساقيْه. يحسّ بالرغبة تتنقّل في عظامه، وتحفر قاعَ روحه.

❖ كاتبة من لبنان.

(١) لم يكن من معنًى للعبوديّة في هذه التسميات، ولا سيادة للرجال في لقب السيادة، إنما هي المتعة المتأتّية من خضوع المرأة لرغباتها في تملّك قلب سيّدها وجسده. هي عادة متّبعة لأنّ المشاع في العلاقات كان يحكم ذلك الزمن. الخيانة، الإخلاص، الشكّ، الغيرة: مفردات لا تدخل في قاموس ذلك المجتمع. إنها علاقاتٌ توافقيّة، تمتزج فيها فانتازيا الجنس بأرض الواقع. وإنه لمجتمعٌ يقدّس ملذّاتِه، ويهتمّ بأعضائه التي يدلّلها ويباركُها ويعطيها أقصى ملذّاتها.

ـ هل تشعر العبدةُ بانتصاباتي؟
ـ العبدة في خشوعها تسمع ألحانَ متعتها القادمة. معك، يا سيّدي، يسكت الكلام.
ـ وماذا يسمع عوضًا من الكلام؟
ـ الإحساس. السيّد، ماذا يحسّ؟
ـ خدرًا ورغبة.
ـ تخجل العبدة، سيّدي. في البداية فقط تكون خجلى.
ـ العبدة بين يديّ سيّدها وهو يداعبها.
ـ هاتي كفك أقبّلها.
تمسك بيد السيّد بين كفّيها. بشفتيها تلثم باطنَ الكفّ.
ـ العبدة تقبّل باطنَ كفّ سيّدها.
ـ السيّد يضع إصبعَه في فمها، والأخرى في أذنها.
ـ العبدة للسيّد منذ أن وُجدا على الأرض.
ـ ماذا يفعل فمُها بإصبع السيّد؟
ـ يعضّها خفيفًا ثم يمصّها على مهل.
ـ وماذا يفعل بإصبعه الكبيرة؟
ـ أنتظرُ ما يفعله سيّدي.
ـ أفصحي يا عبدة.
ـ العبدة لا تفصح. السيّد يفصح.
ـ أنت لي أيتها الجنيّة الخارجة من سابع أرض.
ـ داعبْ شعرَ عبدتك حتى تطمئنّ وتلين.
ـ وخدَّها؟
ـ الأيمنَ أم الأيسر؟
ـ الأيمن لأنها جالسة موليةٌ لي ظهرَها.
ـ سيّدي، لو أنّ العبدة أولتك وجهها، ماذا يفعل؟
ـ أقبّلُها ساعة، وأعبثُ بسرّها لأرى وطرها في عينيها.
ـ هي تريد ذلك.
ـ ولا تريد أن أعضّ رقبتها وأعصرَ صدرَها وأشدَّ شعرَها قليلاً وأوشوشه؟
ـ تريد كلَّ هذا. صدري يؤلمني، ومائي يسيل من أجلك.
ـ ألن تستجدي العبدةُ ما تريده بين شفتيّها؟
ـ سيكون سيّدي كريمًا ويعطيني إيّاه كلَّه. كلّه بفمي، أقلّبه وأقبّله وأعضّه ثم أعصرُه.
تظلّ تفعل هذا حتى ترى وطرَه. يرتعد جسدُه ويهتزّ. ماؤه يندفع داخل فمها، فتمسحُ ما فاض بكفّيها.
يضع إصبعَه بين فخذيها. فمه يعصر لسانَها، ثم حلمتيّها. تخرج آهاتُها نديّةً هادئة.
ـ ماذا تقول العبدةُ للسيّد؟
ـ سيّدُها شفيعُها ومرطّبُ قلبها. سيجيء وطرُها.
ـ هكذا حلمتُ بكِ يا عبدتي. أصير عبدَكِ وأنتِ سيّدتي. أصابعي في خدمتك، ولساني طوع شارتكِ.
يرتعش جسدُ العبدة، وتلمع عيناها بالذروة واللذّة.
وهكذا عاشا في لذّةٍ وسعادة .

النهاية

بيروت